كُن مُبَارَكاً

عبد الله بن سليمان العبدالله (ذو المعالي)

<TD< tr/>

(البركة) خيرٌ دائم .

فكلٌّ يرغب بها ، و يتمنى (البركة) في أحواله و أيامه .

لكن كون المرء ذاته يكون هو (البركة) مما يُسْتَغْرَب و يُتَعَجَّبُ منه .

و لا عَجَب إذ كان عيسى ابن مريمَ قد قال _ كما حكى الله عنه _ : { و جعلني مباركاً أينما كنت } .

و المعنى : معلِّمَاً للخير .

و كل ما قيل في المعنى فهو عائدٌ إلى هذا .

فأخبر عيسى _ عليه السلام _ عن كينونته مبارَكَاً أينما كان .

و مما لا شكَّ أن كلَّايرغب في صيرورته مبارَكَاً في المكان الذي هو فيه ، و المجتمع الذي يعيشه .

و لقد كشَف ابن القيِّم عن عملِ (المُبَارَك) فقال : (فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حلَّ ، و نصحه لكل من اجتمع به ، قال الله _ تعالى _ إخباراً عن المسيح : { و جعلني مباركاً أينما كنت } أي : معلماً للخير ، داعياً إلى الله ، مرغباً في طاعته .

فهذه من بركة الرجل ، و من خلا من هذا فقد خلا من (البركة) ، و مُحْقَتْ بركة لقائه و الاجتماع به ، بل تُمْحَقُ بركة من لَقِيَه و اجتمع به)

انظر : رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ؛ ص 5 .

و (البركة) إذاً أنواع متنوِّعة ، و أقسامٌ شتى ، يجمعها أمورٌ :

الأول : (البركة) في النفس .

و لا يستريب عاقلٌ أن مراعاة المرء (البركة) في نفسه، وتربيتها و تنميتها أولى من مراعاتها في غيره.

و (البركة) في النفس تشملُ أصولاًثلاثاً :

الأول : (البركة) في الإيمان .

و أعني بها : القُرُبات و الصالحات . (البركة) فيها حِرْصُ المرء على أن يكون من أهل الطاعات و الصالحات ، ذا برٍّ و تُقى .

الثاني : (البركة) في العلوم .

و المعني : تنمية العقل و الذهن بما ينفعه من العلم .

الثالث : (البركة) في التعامل .

و هو فيما يتعلَّق بجانب الخُلُق ، و الأدب .

و هذه الأصول جوامعُ (البركة) في نفس الرجل .

الثاني : (البركة) في المكان .

لا يخلو المرء من مكان يقطنه ، و أرض يطأها ، و الناس في ذلك أبناءُ عِلات _ تجمعهم طبيعة الركون إلى الأرض ، و يختلفون في أجناس الأراضين _ .

و المُوَفَّقُ من كان في الأرض الحالِّ بها (مُبارَكاً) و (مُبَارِكَاً) فيها .

و كونه (مُبارِكاً) فيها أي : أن يكون آتياً بأعمالٍ ثلاث :

الأول : ناشراً عِلماً مُهْمَلاً.

الثاني مُحْيياً طاعةً مُمَاتةً .

الثالث : نافياً معصيةً .

و لابدَّ من كونه ذا :

• حكمةٍ في التبيلغ .

• علمٍ فيما يدعو إليه .

• رحمةٍ بمن جانب طريق الطاعات .

الثالث : (البركة) في الزمان .

هذا ظرفٌ ثانٍ يكتنف الناس ، و إيجادُ (البركة) فيه من جهة أن يكون الزمان محلاًمناسباً لإيجاد (البركة) فيه .

و الأزمنة أقسام :

الأول : أزمنة خاصة ؛ فيُرَاعى فيها ما يليق بمن هي خاصةٌ به .

فمثلاً: الإجازات ؛ زمانٌ خاصٌّ ، فكلٌّ واحد له عملٌ في زمنه .

فيأتي (المُبارَك) فيجعل زمن المرء (مُبارَكاً) بدلالته على أسنى درجات استغلاله ، و أعلى أحوال الانتفاع به .

و الناس مختلفون في الإجازة فمنهم من يستغلها في : علم ، دعوة ، عملٍ ، سفرٍ .

فيُعطى كلٌ بحسب ما يناسبه .

الثاني : أزمنة عامة .

و هي الأزمنة التي تُشغلُ أقواماً و فئاتٍ من الناس .

و (المُبارَكةُ) فيها بإشغال الناس بما يتوافق مع حقيقة وضع ذاك الزمن .

ففي مناسبات (الجهاد) يكون حديث (المُبارَك) عن : أحكام الجهاد ، و أسراره ، موارد النصر ، و ... و ... .

و ليس من (المبارَكة) أن يُغْفَلَ حديث الساعة و يُشْغَلُ الناس بحديث مُجانِبٍ لما هم فيه .

و السرُّ الجامع لـ (البركة) أن يكون (المُبارَكُ) عارفاً بوظيفة الوقت ، و هي : (العمل على مرضاة الربِّ في كل وقت بما هو مُقتضى ذلك الوقت و وظيفته) . أهـ [المدارج 1/109]

و هو ما سبق أن بينته في ثنايا الكلام .

و أسَفٌ أن تَلْقَ (المُبارَك) نادراً في زمانه ، و حيداً في مكانه ، مُهْمَلاً من أخدانه ...

و إن كان موجوداً فإنه على قلَّة ، و التأريخُ مليء بأخبار (المبارِكين) منهم على سبيل التمثال لا الحصر :

1- الإمام أحمد بن حنبل _ رحمه الله _ ، فإن الناظر في سيرته يرى أنه ما كان في أرض و لا في زمان إلا و هو ناشراً خيراً ، و مُظْهِراً طاعة .

و لكَ أن تنظر شأنه في المحنة فإنه لما عَلِمَ أن ذاك زمانٌ لابدَّ فيه من إظهار الحق ، و الجلَدِ في تبيانه كان منه ما كان .

2- شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني _ رحمه الله _ و شأنه معروف مشهور .

و حاله في موقفه مع أهل البدع ، و حاله في ساحات العراك مع التتر ، و تربيته لطلابه ، و نفيه من بلاده ... .

تراه في كل ذلك يعيش عملاًيتناسب مع حاله و زمنه .

3- الشيخ عبد العزيز ابن بازٍ _ رحمه الله _ و هذا مدرسة (مبارِكة) متكاملة .

و من عرفه عرف أبعادَ ما أقولُ .

و ختماً أبوح بنداءٍ لعلَّ هناك من يسمع دويَّه فأقول :

ألا لا يلعبنَّ بنا الهم ، و لا يعبثنَّ بنا الشيطان صرْفاً عن إدراك مكنونات (البركة) ، و ظَفَرَاً بنا في ساحات (المحق) و الصدِّ عن العمل للدين .

و لِيَعْلَمَ كلٌّ أن (البركة) سائرةٌ ، و أن (المُبارَك) لا تخلو منه أمكنة و لا أزمنة ، و أن كلاًّ فيه من (البركة) ما كتب الله له ، و لكن الموفَّق أظهره الله ، و الآخر إما أنه أهملها _ الرجل نفسه _ أو أن الله حرمه (البركة) .

و الاستسلام لأوهام (المحق) حاجبٌ لأنوار (البركة) .

جعلني الله و إياكم مبارَكين أينما كنا ، و أن يجعلنا ممن إذا أعطيَ شكر ، و إذا ابتليَ صبر ، و إذا أذنب استغفر .

6/4/1423هـ